دعوة إلى الجهاد الأكبر

متى يستقر العرب فى عصر العقل ؟ متى يهيمنون على عواطفهم وانفعالاتهم ؟ متى يوظفون العواطف فى حياتهم العامة كقوة كامنة ، على حين يُبَوِّئُونَ العقل مكان القيادة لعربتهم فى هذا الزمن الضارى الذى لا يرحم ؟

تراهم بين اثنتين : إمَّا غَزَلٌ لا يكون إلا بين العاشقين ، أو سِبَابٌ لا يليق إلاَّ بالأعداء المُتَنابِذين .

وما نُطالب أحدًا بالتفريط فى مصالحه ، ولا نصادر رَأْىَ ذِى رَأْيٍ مختلف ، ولكننا بلغنا درجة عالية من الاقتناع بضرورة التآلف والتعاون ، ووحدة الرؤية والهدف ، وتوجهت قلوبنا نحو طريق واحدة تقوم على التكامل الاقتصادى والثقافى والروحى ، وتستهدف بصدق وعزم اقتحام العصر لاستيعاب مكوناته ، والإسهام فى معطياته ، مع طرح قيمنا الروحية الباقية ، والخالد من تراثنا المجيد ، تحقيقًا للذات على نحو جدير بأصالتنا ، وسابقة إنجازاتنا الحضارية والإنسانية .

فى ظل هذا الجو المشبع بالمَوَدَّةِ والأمل والطموح يجب أن نرسم سياسات للتعاون والنضال ، وعند الخلاف علينا أن نلتزم بحدود

وضوابط . إنَّ دواعى الوفاق أهَمُّ وأجَلُّ من أى أعراض للخلاف ، وأسباب التقارب أهمُّ وأجلُّ من تضارب المصالح .

وإذا طرأ خلاف جِدِّىّ فاحتكموا إلى العقل والحوار ، وإذا لم يَكْفِ فاستعينوا بوسيط من الأشقاء ، وإذا لم يُجْدِ فَلْيَكُن الاحتكام إلى الجامعة العربية ، لا نهاية لمساعى الخير إذا توافرت الرغبة فى الخير ، وإذا تذكرنا الآمال التى تجمعنا والأهداف الكبرى التى تلح علينا .

حَذارِ من الغضب الأهوج ، والكبرياء الطائشة ، والانفعال الأعمى ، إنها دعوة إلى الجهاد الأكبر ، جهاد النفس الأمَّارة بالسوء .

(٢٢ / ١١ / ١٩٩٠)

رحلة إلى المستقبل

ثمة أحاديث وأفكار تدور عَـمَّـا سَتَئُولُ إليه الحياة فى المنطقة العربية بعد حل أزمة الخليج ، وطبعًا هذا لا يعنى أن علينا أن ننتظر حتى يهل أوان التغيير فنشرع فى التفكير أو التنفيذ ، كما أنه لا يعنى أن نقنع بموقف المنتظر لما يجرى به القدر أو ترسمه مشيئة الآخرين .

علينا أن نرسم ونخطط لذلك الغد المملوء بالاحتمالات ، علينا أن نعتبر أن المهمة هى مهمتنا أولاً وأخيرًا ، وأن نعمل الحساب لمختلف الملابسات والاحتمالات ومطالب العالم الجديد الذى يتكون ساعة بعد أخرى فى عصر الوفاق بين الغرب والشرق ، وذوبان الأيديولوجيات فى رؤية جديدة واحدة تتوثب لعرض مشرعيتها على العالم أجمع .

فى نطاق ذلك نعتبر رحلة السيد الرئيس حسنى مبارك إلى دول الخليج رحلة إلى المستقبل ، بل إنها بادرة إلى الاتفاق على أمرين هامين :

الأول : نظام أمن عربى للدفاع عن المنطقة ، والإسهام بقوته الذاتية فى توازن القوى العالمية .

الثانى : الاتفاق على بداية طيبة للتكامل الاقتصادى الذى هو أساس كل نهضة حقيقية لتحقيق التقدم والرخاء للشعوب .

وأرجو أن يكون الحوار قد تطرق لخلق رؤية جديدة لأنظمة الحُكم تتوافق مع العصر ، وتتجاوب مع رؤاه .

لم تكن رحلة استكشاف للمستقبل فقط ، ولكنها اقترنت بالعزم على تنفيذ ما يمكن تنفيذه فى الحال ، والحق أن جميع ما اتفق عليه لم يكن وليد اللحظة أو رد فعل للأزمة ، ولكنه يعكس هواتف الضمائر العربية على مدى نصف قرن ، ولعله لم يعطله إلا الجو العربى بما حمل من خلافات وأزمات وأخطاء جعلته دائماً يقدم المهم على الأهم ، ويهدر كثيرًا من القوى فيما لا طائل وراءه .

الحق أنه آن لنا أن نعمل ، ولا نؤخر عمل اليوم إلى غد . . وألاَّ نحيد عن الطريق المستقيم الذى لا محيد عنه ولا تردد فيه ولا طريق غيره للحياة الكريمة .

٢٦ / ١١ / ١٩٩٠

حلم ساعة

كلما مر يوم لاحت فى الأفق نُذر الحرب ، ولكن بشائر الحل السلمى لا تتلاشى ، مازالت تهدى إلينا الأمل فى تجنيب المنطقة ويلات الحرب ، آخر ما عرفناه منها مبادرة الرئيس الفرنسى ميتران ، ولعلها ذات مزايا لا يمكن أن يُستهان بها ، فهى مُحققة لقرار مجلس الأمن ، مع تجاوز بسيط فى الشروط ، وواعدة بتحقيق السلام الشامل العادل فى الشرق الأوسط .

ولعل ذلك ما سمح لنا بأن نركن إلى الحلم ساعة من الزمان ، برغم معاناتنا للواقع المتوتر المتجهم ، فلنحلم بما ينبغى أن يتم فى عالمنا الصغير الذى أنهكته الحروب ومزقته الخلافات .

فأَوَّلاً : يجب أن يعود الكويت إلى استقلاله وتعود إليه سيادته .

وثانيًا : يجب أن نمضى بنفس العزم فى حل المشكلات الراكدة فى فلسطين والجولان ولبنان .

وثالثًا : يجب أن نحل الخلافات العربية ، ما تعلق منها بالحدود أو الأقليات ، وفى مقدمتها الخلافات القديمة بين العراق والكويت .

ورابعًا : يجب المبادرة إلى تنفيذ التكامل الاقتصادى على أُسس عادلة

بين الأغنياء وغيرهم ، فعلى غير الأغنياء أن يمهدوا أرضهم لتكون موضع الثقة والأمان للاستثمار ، وعلى الأغنياء أن يتوجهوا بقرار نهائى إلى استثمار أموالهم وتحقيق أرباحهم فى تطوير وطنهم العربى الكبير ، والوثوب به إلى العصر .

وخامسًا : يجب على كل وطن عربى أن يسد الفجوة التى تفصل بينه وبين العصر الحديث فى نظام الحكم ، واحترام حقوق الإنسان ، والاعتماد فى التصدى لمشكلاته على العلم ، مؤيدًا ذلك كله بإيمانه العريق ومبادئه السامية ، ومَنْ يدرى ، فلعل ذلك الانفجار لم يقع إلاَّ ليشدنا إلى التصدى لأمراضنا ، ويبلغ بنا الفرج بعد الشدة !

(٢٩ / ١١ / ١٩٩٠)

إننا بإزاء رؤية جديدة تصلح للمشاركة فى عالم جديد ، وأعتقد أن هذه الرؤية تقتضى إحداث حركتين : إحداهما فى الداخل ، والأخرى فى الخارج .

فبالنسبة للداخل يجب التركيز على ما يأتى :

أولاً : أن نستكمل أبعاد ديمقراطيتنا بكل ما تتطلبه من عمل دائب وشجاعة فائقة ، يجب أن نعيد النظر فى الدستور ليكون مصباحًا للاستنارة ، ومظلة لحقوق الإنسان ، ودرعًا للعدالة والقضاء ، وقوة للشعب من أجل الشعب ، وضمانًا للوحدة الوطنية ، ووعاءً للمبادىء الإنسانية والقيم الدينية ، مع تطهير جونا من مختلف القوانين الاستثنائية ، خاصة ما يتعلق منها بالتقاضى والصحافة ، وسيكون ذلك أساسًا للاستقرار المنشود ، يطمئن به المواطن والمستثمر فى آنٍ واحد .

ثانيًا : أن نولى البحث العلمى ما يستحقه من إيمان ورعاية . . وأن نضع العلماء حيث يضعهم العصر ليتولوا القيادة العلمية فى جميع الأنشطة ، وأن نذكر أن ألمانيا واليابان ـ المهزومتين ـ استردتا مكانتهما بالعلم ، فحققتا به نصرًا ما كان ليتحقق إلاَّ بحرب ثالثة يُكتب لهما فيها

النصر . فللعلم الكلمة الأولى فى كل ميدان ، وهو وحده الذى يكفل المساواة بين أُمَّة صغيرة وأخرى عملاقة .

ثالثًا : أن نستكمل ثورة التعليم ، باعتباره المهد الذى تتربى فيه البذور الصالحة لازدهار الديمقراطية والبحث العلمى ، بالإضافة إلى بناء الفرد على أسس دينية وقومية وثقافية ، لخَلْقِ المواطن المنتمى الذى يعد العمل والمعرفة والتفكير عبادة .

وأنا لم أتعرض للمشكلات المتحدية ، فهى محفوظة متداولة فى الخطة الشاملة ، ولكنى أتحدث عن الخطوط العريضة لرؤية جديدة .

وبالنسبة للخارج فأعتقد أن الأمر لم يعد كما كان فى الماضى بحثًا عن مجال حيوى ، أو تطلُّعًا لزعامة ، فقد يكون ذلك مهمًا ، ولكن الأهم منه اليوم أن نعرف أى نغمة يمكن أن نعزفها فى السيمفونية العالمية ، بحيث يحدث اشتراكنا طربًا لانشازًا قد يجر علينا المتاعب . يجب أن نعرف قيمة السلام مع العالم لتتهيأ لنا فرص الازدهار فى الداخل .

إنه عالم جديد لا يطالبنا بالقوة بمعناها المعهود فحسب ، ولكنه يطالبنا بما هو أشد وأبقى . . يطالبنا بالعلم والحكمة والعمل الدائب .

(٣ / ١٢ / ١٩٩٠)

كيف يتحدى الرئيس صدام حسين إرادة العالم بهذه الصورة المستفزة؟

لعل هذا ما أغرى البعض بتصور تمثيلية مرسومة . وأنه يلعب الدور المتفق عليه وهو على أتم ما يكون من الطمأنينة .

وهذا التصور إنْ جاز أن يُقْبَلَ بين دولتين فمن الصعب قيامه بين دولة والعالم كله ، فضلاً عن ذلك فإن التمثيلية المزعومة اقتضت تحريك جيوش ومعدات لم يعهدها العالم إلا فى حروبه الكبرى ، وانفجرت فيها براكين الغضب من الجانبين لدرجه تفوق أى اتفاق أو تآمر ، وبالإضافة إلى ذلك فإن التراجع بدون تحقيق القرار العالمى ينقضُّ كالصاعقة على كرامة الأمم العظمى وبقية الأمم ، وعلى الآمال التى عقدها البشرحول قيام عالم جديد فى نياته وأسلوبه وأهدافه .

وإذن فالنزاع جد لا هزل ولا تمثيلية ، ولنسأل من جديد عن موقف الرئيس المتحدى للإرادة العالمية ، ولنستبعد أيضًا فروض الجنون وما يلحق به من أعراض الاستبداد ، فالرجل يُحاوِر ويُداوِر ، ويحتمى بمهارة بقضايا المنطقة وثرواتها ، ولا يرفض السلام ، ويطالب بالمفاوضة ، ويُحَمِّل خصومه مسئولية العواقب الوخيمة المتوقعة .

الذى أتصوره ـ والله أعلم ـ أن الرجل مازال يتعامل مع العالم الذى

نشأ فيه وتمرس بأساليبه ، وحفظ قاموسه وحيله ، ولم يُصدِّقْ بعد أن الدنيا تتغير ، وأنها تتطلع إلى حياة جديدة .

لقد كان العالم القديم غابة مملوءة بالشعارات الجميلة والنيات الخبيثة والأفعال الإجرامية . وكانت عُصْبَةُ الأمم بعد الحرب العظمى الأولى عصابة من الأقوياء لاستغلال الضعفاء ، وظلت هيئة الأمم بعد الحرب العظمى الثانية تتأرجح بين الخير والشر ، مُدَّخِرَةً « الفيتو » لحماية القوة فى المواقف الحرجة ، ثم جاء الوفاق بين الشرق والغرب فَآذَنَ بمولد عالم جديد .

وشاء حظ الرئيس العراقى أن يكون سلوكه « التقليدى » أول اختبار لهذا العالم فى توجهاته الحديثة . ونستطيع أن نقول : إن العالم قد نجح حتى الآن فى الاختبار ، وأنه لن يرضى بالهزيمة .

فعلى الرئيس العراقى أن يدرك ذلك ، وأن يذعن للمشيئة العالمية ، فينقذ وطنه العراقى وأمته العربية ، ويقدم أول مثل طيب فى احترام القانون والتوافق مع العالم الجديد .

(١٠ / ١ / ١٩٩١)

تحت راية الأمل الخفاقة تمر سُحُب معتمة من القلق والهواجس ، ولكن المستند إلى صخرة المبادىء لا يجوز عليه الخوف ، فهو يعرف طريقه ، ويرضى عن مصيره ، وقد تمخض الموقف عن صورة مأساوية غريبة ، صورة العالم يُحاصر مخزنًا للبارود يقوده رجل شرير . . لم أستطع أن أقول إنه رجل مجنون ، إذْ أنَّ المجنون لا يعى شيئًا ، ولا يبالى بشىء ، على حين أن رجلنا مازال يعى بأنانيته ، وقد أدرك أنه فَجَّرَ جحيمًا فى أركان وطنه الطيب ، فَهَرَّبَ من نيرانه أسرته وأبناءَهُ ، غير مبالٍ بشعبه الذى يعانى صباح مساء ، والذى نشاركه آلامه وأحزانه .

ذلكم هو صدام حسين الذى يحارب ، لا أملاً فى انتصار ، ولكن طمعًا فى نشر الدمار والخراب والفوضى ، كى تبلغ أقصى ما يمكن أن تبلغه من البلاد الآمنة ، وتهلك أقصى ما يمكن أن تهلكه من الأنفس البريئة ، ما أشبه عمله بعمل إبليس الذى يفعل ما يستطيع وفوق ما يستطيع من شر ، دونما أدنى أمل فى الخلاص . فإذا لم يضطر إلى إصدار قرار الانسحاب ليقى شعبه نيران الجحيم ، فالأمل الباقى هو القضاء عليه فى أقصر وقت ممكن . . يجب القضاء عليه سريعًا لحصر خسائرنا وآلامنا فى أضيق دائرة من سوء الحظ والتعاسة .

ولنذكر فى مأساتنا أننا نكابد ما نكابد جزاء ضعفنا وتدهورنا وتفريطنا فى كرامتنا ، دون حاجة إلى مكيدة أو سيناريو من الأشباح العالمية .

نحن الذين نخلق الأصنام ونعبدها ونُمَكِّنُهَا من العبث بمصائرنا .

إنَّ فينا من تفتنه القوة ولو حادت عن الحق والشرف .

وفينا من يرحب بالغزو إنْ أَنِسَ منه خيرًا لنفسه .

وفينا من يفرح للسرقة إذا أمل أن ينال حظًّا منها .

وفينا وفينا وفينا ، مما جعلنا مستودعًا للخرافات ، والانتهازية ، والأمراض العقلية .

فليكن لنا من هذا الزلزال صحوة ، وفرصة نرى فيها أنفسنا على حقيقتها . . والله لا يُغَيِّرُ ما بِقَومٍ حتى يُغَيِّرُوا ما بأنفسهم .

(٢٤ / ١ / ١٩٩١)

المصالح والمبادىء

يقولون إن السياسة مصالح ولا علاقة لها بالمبادىء والأخلاق ، وقد ساءت سمعة المصالح من مصدرين .

الأول : التاريخ ، فهو حافل بالمكائد والدسائس والمؤامرات والحروب التى أهلكت الملايين من البشر ، وأَذَلَّت المئات من الدول فى سبيل مصالح الأقوياء .

الثانى : الحياة اليومية التى تقسم فيها الناس بين رجال مبادىء ، ورجال مصلحة ، لا يتورعون عن أى انحراف تحقيقًا لمصلحتهم .

فَصَحَّ فى الأذهان سوء سمعة المصالح مع خطورة الدور الذى تلعبه فوق مسرح السياسة . أحاول اليوم أن أتناسى ما صحَّ فى الأذهان ، وأن أتفحص معنى المصالح من جديد ، فكيف ينبغى لنا أن نفهم المصالح؟

مصلحة أى أمة هى المقومات والأسباب التى تقوم عليها حياتها وحضارتها ، مثل النيل لمصر وبلاد وادى النيل ، والبترول لبلاد الحضارة الحديثة ، وغير ذلك . وهى بهذا المعنى خيرٌ مُطْلَق ، وواجب كل دولة وكل مسئول فيها المحافظة عليها .

ولكن كيف تتحقق المصالح ؟

هنا تتعدد الطرق والوسائل تبعًا للظروف والأحوال .

فقد تهيمن على العالم روح القوة والمنافسة فتحقق المصالح بأى وسيلة . بدون نظر إلى المبادىء أو الأخلاق ، فتكون الدسائس والمؤامرات والحروب والاستعمار بكافة أقنعته .

وقد يتعلم العالم من تاريخه القاسى دروسًا ، فيميل إلى التعاون والشرعية ، ونبذ المؤامرات والحروب ، كما نشهد اليوم مِنْ تَوَجُّهِ أوروبا نحو الوحدة ، والوفاق بين الشرق والغرب . وإذن فأستطيع أن أقول ـ وأرجو ألاَّ يخيب رجائى :

إن المصالح خيرٌ مُطْلَق .

وإن السياسة الرشيدة وثيقة الصلة بالمبادىء والأخلاق ، ولا غنى لها عنهما .

ولعلنا لا نختلف مع صدام حسين ومؤيديه فى المصالح ، ولكننا نختلف فى الطريق ، فهم يُكَرِّمُونَ الغزو والنهب والسرقة ، ونحن نتمسك بالقانون والتعاون والشرعية والسلام .

(٣١ / ١ / ١٩٩١)

اعرفْ نفسك

مَنْ مِنَ العرب يرفض الرئيس صدام حسين ؟ ومَنْ يؤيده أو يتعاطف معه ؟

فى محاولة الإجابة عن هذا السؤال اختبار لأنفسنا وخباياها ، ودراسة لمجتمعنا وما يموج به من تيارات ، وقديماً دعا الحكيم كل إنسان بقوله المأثور : « اعرف نفسك » .

لقد رفضه بشدة جميع الذين يتمسكون بالمبادىء والعهود ويؤمنون بالأمن العربى ، ويتطلعون إلى غد يجتمع فيه العرب فى وحدة تقوم على الإخلاص والتعاون والرغبة المشتركة فى التقدم وفى ظل سلام وتوافق مع الشرعية الدولية .

وأيده من تبهرهم القوة دون اهتمام بمبادئها ، ويؤثرون المنفعة من أى طريق جاءت ، ولا يبالون بالمبادىء والعهود ، ولا يصدقون أنَّ عالماً جديدًا يتشكل ، فمازال الماضى السيىء يشدهم إليه بذكرياته المُرة وسلوكياته الغادرة .

وقد نشأ الفريقان نشأة طبيعية تتناغم مع رؤيتهم للحياة ومدى توافقهم معها ، ولعله من حُسن الحظ أن الفريق الرافض هو الغالب إذا

اعتمدنا فى تقديرنا على ما يجرى فى مصر ، وما يموج به الشارع المصرى ، وتشير إليه الإحصائيات .

ولكن ليس جميع مؤيدى صدام من تلك النوعية التى لا تخلو من منطق خاص ، وأن يكون منحرفًا ، فقد انضم إليهم فريق أدمن العداوة للغرب ، وتمادَى فيها حتى صارت من مقومات حياته وأسس توجهاته ، ربما لأسباب كان لها ما يبررها قديمًا ، ولكنهم عكفوا عليها ، فَتَغَيَّرَ العالم وأَبَوْا أن يتغيروا . . أيد هذا الفريق صَدَّامًا ، لا حُبًّا فى صدام ، ولا إيمانًا بما فَعَل ، ولكن كراهية فى الغرب ، حتى إذا اتفق معنا فى المَصالح والمبادىء . .

وهناك فريق آخر من المؤيدين ، هم خصوم الحكومة ، لأسباب داخلية سياسية أو اجتماعية ، فجرفتم الخصومة إلى تأييد مَنْ ترفضه الحكومة وَرَفْضِ مَنْ تؤيده مجاراة لعواطفهم ، ودون محاولة لاتخاذ موقف قومى يتفق مع العقل والمصلحة القومية كما فعل خصوم آخرون .

هذه صورة تعكس لدرجة ما واقعنا ، والحق أنه ليس كل واقعنا ، فثمة فئات قليلة لاوَزْنَ لها ، منها مَنْ يُصَدِّرُ مَنْ تلعب به الأحداث ، فيكون فى الصبح على رأى وفى المساء على رأى ، لكننى ركزت على التيارات الثابتة ، والصورة فى عمومها لا تخلو من قُبح ، ولكنها أبعد ما تكون عن اليأس ، وأختم بما بدأت به من القول المأثور : « اعرف نفسك» لعلنا نُحسن التعامل معها ومع الآخرين .

(١٩٩١ / ٢ / ٧)

بطـل الترســو

من الملاحظات المثيرة التى لا تخفى على عشاق السينما تحيز جمهور الترسو وإعجابه بالشرير إذا توافرت فيه الجُرْأَة وقوة الحيلة والمهارة فى الكر والفر ، مما يهيىء له انتصارات وقتية على رجال الشرطة قبل أن يقع فى قبضتهم ، وكثيرًا ما انتحلنا الأعذار لذلك الجمهور لحداثة سِنه ، وسوء تربيته ، واستعداده الذى لا حيلة له فيه للانحراف ، وكراهيته للقانون وأهله .

وقد « عشنا وشفنا العجب » كما تقول الأغنية القديمة ، عشنا لنسمع عن تحيز جمهور عربى لشرير عربى حقيقى لا من خيال الأفلام ، يتحدى العالم بانحرافه ، حتى مرغ سُمْعَةَ العرب فى التراب . وتخطت ظاهرة الإعجاب هذه المرة الأحْدَاث إلى رجال يُعدون من صفوة المجتمع وأبنائه الراشدين ، هم الذين يشجعون اليوم صَدَّامًا ، ويدافعون عن انحرافاته غير مبالين بضحاياه من الدول والبشر والمبادىء .

لا أنكر أن صمود العراق تحت المطر المنهمر عليه من القنابل يستحق التقدير ويثير الأحزان ، ولا أنكر أننى أتجرع الحسرة كل يوم مرات أن هذه القوة لم تُدَّخَرْ لدعم الأُمَّة العربية وحل مشاكلها وتحقيق السلام القائم على العدل ، ولكن « صدام حسين » أهدرها برعونة وجنون ، مرة فى الانقضاض على وطنٍ إسلامى ، وأخرى فى ابتلاع وطن عربى ، وأنه

بسوء تقديرة واندفاعه المَرَضِيّ شق العرب نصفين ، وزلزل أمتهم ، ودعا العالم كله إلى إدانته وتأديبه ، وكرس ذاته عاملاً من عوامل الدمار كالزلازل والبراكين .

إنه صورة قبيحة تعمل خارج نطاق العالم الحديث وآماله وتطلعاته الطيبة . . إنه يصر على رفض الحلول السلمية ، ويهدد بالرهائن ، وينكل بالأسرى ، ويطلق صواريخه على المدنيين ، ويتباهى بأسلحة الدمار الشامل ، ويلوث البيئة ، وينشر الدمار فى منطقته القومية بدون مبالاة بأى مسئولية أو قيمة بشرية .

وبفضل إعجاب جمهور « الترسو » الحديث صارت الصورة القبيحة رمزًا للعرب والمسلمين ، وغير خافٍ مايلاقونه فى بلاد الحضارة من سوء المعاملة والازدراء . ومازالت الجهود تُبذل لإنقاذ المجرم ، وتبرير الجريمة على حساب الأبرياء المظلومين والقيم الشريفة ، على حين أنه لم يبق لنا من عزاء وسط الأحزان والمآسى إلاَّ أن تنتهى الكارثة بِنُصْرَةِ الحق والعدل والقيم البشرية الشريفة .

(١٤ / ٢ / ١٩٩١)

فى بيان العراق الأخير لَهْجَةُ المنتصر الذى يُملى شروطه ، لذلك رفضه الجانب المحارب واستمر فى حربه ، ولكنّ ثمة ظاهرتين تدعوان للأمل : أُولاهما : تسليم الرئيس العراق لأول مرة بمبدإ الانسحاب من الكويت، وثانيتهما : فرحة الشعب العراقى بما ظنه نهاية عذابه وبدء استئنافه لحياته الإنسانية الطبيعية .

بالنسبة للرئيس العراقى الذى سَلَّمَ بمبدإ الانسحاب من الكويت لا يجرؤ أن يتجاهل فرحة شعبه بإنهاء عذاب الحرب ، لقد جاء إعلان الفرحة كاستفتاء تلقائى يجب احترامه ، والركون إليه إذا اقتضى الأمر تغييرًا فى الخطاب أو تراجعًا عن العناد ، ولن يضير زعيمًا أو يقلل من شأنه أن يصغى إلى صوت شعبه وينفذ رغبات ضميره ، بل العار ـ كل العار ـ أن تأخذه العِزَّةُ بالإثم أمام شعبه .

أما الشروط التى وصفها السيد رئيس جمهورية مصر بأنها تعجيزية فيجب أن تكون الآن موضوع مفاوضة بين المتعاطفين مع العراق والمسئولين العراقيين ، ويجب أن يتم ذلك بدون إبطاء .

من هذه الشروط ما يُعَدُّ تعجيزًا واضحًا فيجب حذفه .

ومنها ما يُعَدُّ من مطالب الأمة العربية التى لا تكف عن التفكير فيها

وإعداد العُدَّة لها ، مثل القضية الفلسطينية ، والجولان ، وجنوب لبنان ، وخلافات الحدود بين البلاد العربية .

على المتعاطفين أن يُقنعوا الرئيس العراقى بالانسحاب بدون قيد أو شرط تنفيذًا لقرارات مجلس الأمن ، ورغبة الشعب العراقى .

وعليهم من جهة أخرى أن يُطالبوا مجلس الأمن والأمم المعنية بإعلان تعهدها بحل المشكلات الباقية بعد إتمام الانسحاب ، وعودة الشرعية إلى المنطقة .

يجب ألاَّ تضيع دقيقة بدون عمل ، فكل دقيقة تمر يهلك فيها أرواح وعمران .

(١٨ / ٢ / ١٩٩١)

علينا أن نسلم بأن لكل خطأ ثمنه . الحياة البشرية جهاد مستمر يطالبنا فى كل لحظة ببذل ما نملك من قدرات وحِكْمة ، وهو جهادٌ قاسٍ لا يعرف الرحمة ، ولا يتسامح مع ضعف ، ولا يغضى عن هفوة ، لا مكانَ فيه لمُهملٍ أو مُتَسَيِّبٍ أوْ لاهٍ أو عابثٍ . على المُخطىء أن يدفع ثمن خطئه ، وعلى جميع من هَادَنَهُ أو خُدِعَ به أوسكت عنه أن يُقاسمه العقوبة ويشاركه المصير .

قد يستبد طاغية بالسلطة ، ويجر بطغيانه الويلات على أمته ، ونتساءل فى رثاء : وما ذنب أمته ؟ ألم يكبلها بالأغلال ؟ ألم يُسقط عليها الحديد والنار ؟ ولا أُهَوِّنُ مِنْ شأن الأغلال ، ولا أستهين بالحديد والنار، ولكن الحياة فى تقدمها لا تقيم وزنًا لتلك الأعذار ، وتدمغ الشعوب التعيسة بالذنب ، وتحملها المسئولية ولا تعفيها من العقاب . لا يمكن القضاء على طاغية دون المساس بشعبه . . ولا مكان فى قاموس الجهاد لإيثار السلامة والصبر والتواكل . لقد تعاقبت علينا الدروس ، وفى أعقاب كل درس نعاهد أنفسنا على استيعاب الدرس وتغيير الواقع السيىء ، ثم سرعان ما ننسى ، وتتكرر الجريمة ، ويتكرر الاستسلام ، ويقع الخطأ ، ويجىء العقاب ، ويجرفنا فيما يجرف ، ويتصاعد الأنين ، ونبدو كأننا حملان بريئة ، وما نحن إلا مذنبون .

بسبب ذلك الكسل الحضارى تتفجر أزماتنا كالبراكين ، وتتطاير منها الكوارث ، ثم نكون أحسن ما نكون ، ونفكر فى البناء والتعمير ، ونكتسب سُمعة طيبة ، وإذا بطاغية يطلق كلمة هوجاء ، أو يرتكب إثماً خبيثًا ، أو يسلك سلوكًا بهيميًّا ، فإذا بنا نتخبط فى الشقاق والعداوة ، وإذا بالعالم يتكتل ضدنا كعصابة من الخارجين على القانون ، وتنهار سُمعتنا وتتردى ، ونصبح عنوانًا للهمجية والفساد .

ويتصدى فلاسفة السياسة وقراء الغيب لهتك الظُّلُمات ، ويسلطون أنوار بصائرهم على المكائد والسيناريوهات والإمبريالية العالمية ، وقد يصح الخيال أو لا يصح . ولكن لماذا نهرب من وضع أنفسنا على المشرحة ؟ . لماذا لا نحدد مسئوليتنا ونحن المؤثر المباشر ؟ لقد سكتنا حين وجَبَ الكلام ، وتراجعنا حين وجب الفعل ، تركنا أعناقنا للأفّاكين والدّجّالين وأشباه الرجال ، وتخلينا عن مسئوليتنا وتراثنا الحقيقى من العزة والجهاد .

وتقع الواقعة ، فنلتف حول حائط المبكى العربى ، لِنَسْفَحَ الدموع ، ونلعن الإمبرالية العالمية .

(٢١ / ٢ / ١٩٩١)